

# امرأة عاملة



نظرت إلى صورتها في المرآة بعد أن ارتدت ملابسها وأتمت زينتها الصباحية التي تتقنها بفن رفيع يشهد به كل الزملاء، وانساح في قلبها شعور بالرضاء كسا ملامحها تألُقاً جديداً، وتمتت تحدث نفسها: «حسناً.. اليوم ها أنذا أخرج مبكرة كما ينبغي.. لسوف أصل إلى العمل وأكون على مكنتي قبل بقية الزملاء، ولن يجد رئيسي اليوم مبرراً لمؤاخذتي!.. ماذا أفعل له!.. وأنا أعرف جيداً أنه ليس التأخير هو الذي يدفعه إلى مؤاخذتي!».

في طريقها إلى باب شقتها مرت على حجرة طفلها حيث ينام مع فوزية التي تعنى بشئونه وبشئون البيت كله في غيبتها، وأيضاً في حضورها القليل!

كان تامر الذي لم يتم العامين بعد يتأثب في فراشه، يفتح عيناً وتغمض بقايا النعاس العين الأخرى.. اعتملت في صدرها رغبة قوية لأن تحمله، لأن تضمه إلى صدرها وتقبله قبل أن تذهب، ولكن ما أن همت بذلك حتى انطلق يصرخ صراخاً حاداً مزعجاً أتى بفوزية إليه تجري من مكانها البعيد في المطبخ، فألقى الطفل بنفسه إلى ذراعيها المفتوحين، وغمر وجهه في صدرها ثم مالبت أن كف عن البكاء!.. تمتمت رضوى في صوت هامس: «ياغبي»!.. أمك؟!

.. وقفت هنيهة صغيرة لاتدري ماذا تفعل، ثم تحركت قدماها خارجة من الحجرة إلى الشارع الفسيح المفعم بالضوضاء.

في زحمة الطريق نسيت الأمر.. أو على الأصح استطاعت أن تتناساه، ولكن في قلبها غامت سحابة من كآبة أطفأت ملامح حيويتها وغشت وجهها بمسحة قلق، رغم حرصها على الاحتفاظ بتألُقها في مواجهة النظرات، فهي تحس أن تألقها واعتدادها بنفسها مع بسمتها المشرقة، هي من أسرار نجاحها في عملها، فالجميع هناك معجبون بها سواء منهم من

أحبها أو من ملأت قلبه الغيرة من نجاحها، وهم على كل حال يحبون بسمتها الدائمة في وجوههم وكلماتها اللطيفة المجاملة!.. وهل من سبب لنفرتهم من زميلتها «أماني» غير جدوا الدائم وصرامتها وكلماتها القليلة الرادعة، وعدم ميلها إلى الاشتراك في جو الهذر الذي يحبون أن يقضوا فيه جزءاً من الوقت للترويح من عناء العمل الممل!

حين وصلت إلى مكتبها لم يكن في الحجرة إلا واحد فقط من زملائها، قالت:

- هذا خير، اليوم لن يجد الأستاذ محمود ما يؤاخذني من أجله!.. فها قد حضرت قبله وقبل أغلب الزملاء!.. ثم أتبعته كلماتها بضحكة لطيفة مالبت أن تبددت في سحابة الكآبة التي أحستها تنتشر وتغطي مساحات الصفو!..

«توشك فوزية أن تصبح هي ربة البيت!.. بل توشك أن تكون هي الزوجة وهي الأم!.. همهمت بالكلمات في داخلها بغير صوت، ثم غرقت في صمت عاقها عن متابعة حديث زميلها!

## بقائه : حميده فطيم

لقد ترددت كثيراً في أول الطريق أن تكل إليها ذلك، ولكن ماذا كان في يدها لتحل هذا الإشكال!.. فمنذ ترقيتها الأخيرة إلى عملها الجديد أصبح عليها أن تذهب مبكرة عن ذي قبل، واختلفت بذلك مواعيدها عن ميعاد زوجها!.. هناك بعض المكاسب دون شك!.. لقد كسبت الترقية، وكسبت زيادة طيبة في مرتبتها، وكسبت مكانة ناجحة في عملها.. ولكن.. كم خسرت في الكفة المقابلة!.. وهل روابط العيش الواحد تتحقق وتقوى إلا من خلال هذه الاحتياجات المتبادلة بين الشريكين!..

نعم، لقد كانت في غمرة أفكارها التحريرية وهي فتاة صغيرة في الجامعة، وفي حرارة صراعاتها من أجل حقوق المرأة ونقاشاتها الحادة مع زملائها وزميلاتها، خاصة أولئك الذين ينتمون منهم إلى الفئات الرجعية، كانت تأنف من تلك الخدمات وتعتبرها مهينة تحط من قدر المرأة وتجعلها في مكان الخادمة!.. وكانت تقول كما يقول أكثر المثقفات إن دور المرأة لا يجوز أن يكون هو عمل البيت وخدمة الرجل، فالمساواة بينها وبينه تقضي بأن تشاركه في جميع الأعمال ويشاركها هو في أعمال البيت.. سواء بسواء!

حقاً لقد كانت تأنف من أن يكون لها مثل هذا الدور في يوم من الأيام!.. ولكنها عندما مارست الحياة واقعاً مع هذا الزوج لم تجد الأمر مطابقاً لما كانت تراه من قبل!.. على العكس من ذلك لقد أحست بسعادة وطمأنينة وهي تقوم بهذه الخدمات اليومية الصغيرة لزوجها.. أحست أنها «مملكة».. مالكة تدير شؤون مملكتها الصغيرة هذه؛ ولم تشعر أبداً أنها خادمة مسخرة لخدمة الرجل!.. أكثر من ذلك أنها أدركت حقيقة دور هذه الأعمال الصغيرة في توثيق رباط العيش بين الزوجين، وفي تعميق أواصر الحب والمودة بينهما وعرفت على الطبيعة أن الزوج يؤدي هو أيضاً من الخدمات في هذه الحياة المشتركة ما يوازن الميزان، وما يجعل المساواة واقعاً معيشياً في كل لحظة، لا مجرد شعارات مرفوعة تبدو في ظل هذا الواقع ضرباً من السفسطة!

ولكن هاهي، بكل أسف، قد تخلت عن مملكتها بمحض إرادتها لتدعم نجاحها في هذا العمل الذي تفرق فيه كل يوم من الصباح إلى آخر اليوم، ولتسد الطريق أمام مكائد الثعالب والذئاب التي تحفر لها وتحاول أن توقع بها! وها هي ذي ناجحة إلى حد كبير رغم كل الصعاب، ولكن ما بال كل الموازين تتج في يدها رغم ذلك النجاح!

النجاح!.. النجاح هنا.. نعم.. ولكن هناك!.. هناك قد غدت

فوزية شابة لم تكمل الثلاثين، توفى زوجها في حادث منذ أربع سنوات وترك لها طفلتين، فاضطرت أن تعمل لتعولهما ولتعول أمها التي أودعت عندها أطفالها، سمحة بشوشة الوجه، تنير ملامحها مسحة من جاذبية تحبب فيها الناس، تعمل بصدق وإخلاص ولا تمل العمل ولا تشكو، حملت عنها كل أعباء البيت، حتى أشياءؤها الخاصة وأشياء رب البيت يجدانها مرتبة في أماكنها من حجرة نومها!

حين أرسلها إليها مكتب الترخيم الذي تتعامل معه منذ قرابة سنتين؛ وكانت على وشك أن تضع طفلها الثاني هذا، استبشرت بها خيراً، وقد كانت في حاجة ماسة لمن يرعى طفلها بعد أن تنتهي إجازات الوضع وتعود إلى عملها، وكانت مأساتها في طفلها الأول الذي ذهب ضحية نزلة شعبية حادة لم تجد رعاية طبية سليمة بسبب إهمال من الخادمة التي كانت عندها في ذلك الوقت، ماتزال تؤرقها وتدمي قلبها!.. لقد دفعها ذلك لأن تتعامل فوزية كأنما هي شريكة في البيت، أحد أفراد الأساسيين، لا عاملة تؤدي عملاً محددًا وتأخذ مقابلته أجرًا، حتى تعطي من قلبها ومن إخلاصها ما يكفل سلامة الطفل الذي يهتما أمره قبل كل شيء آخر في المنزل!.. وقد نجحت ووصلت إلى هدفها كاملاً، فلقد تقبلت الشابة هذه المعاملة الطيبة بالمحبة لأهل البيت وبادلتها بإخلاص ومودة وإتقان في العمل.. وهل تتطلب ربة بيت أكثر من هذا فيمن تعمل عندها!.. إن صديقاتها كلهن يحسدنها عليها، كل هذا صحيح، ولكنها اليوم قلقة من وضع فوزية هذا في بيتها!.. اليوم تهتز في نفسها أوضاع كثيرة ومفاهيم كانت في فكرها ثابتة!.. لقد نبهها سلوك طفلها في الصباح إلى أوضاع مخيفة لم تعمل لها حساباً ولم تتنبه إليها من قبل!.. صحيح أن فوزية تريحها إلى أقصى حد ممكن، ولكن على حساب ماذا!.. على حساب مكانتها هي في بيتها!.. فهي تستطيع الآن أن تتيقظ إلى التغير الكبير في سلوك زوجها، لقد كاد هو أيضاً أن يستغنى عن خدماتها!.. طلباته الكثيرة الصغيرة، وهي تعرف منذ بدء حياتها معه أنه كثير الطلبات، وأن طلباته دائماً نابعة من مشاعره، من حبه وتلقفه وعمق ارتباطه بها، الآن تستطيع أن تلاحظ أن كل هذه الطلبات لم يعد يتوجه بها إليها!.. بل غدت موجهة إلى فوزية!

حتى إفطاره في الصباح، وحتى حاجات هندامه واستعداده للخروج إلى عمله أصبحت موكولة إلى فوزية!.. هي مضطرة إلى الخروج قبل صحوه من نومه خمسة أيام في الأسبوع!.. فعلى فوزية إذن أن تحل محلها!.. أن تقوم هي له بهذه الأعمال الحميمة، وأن تحضر هي له كل تلك الاحتياجات!..

فوزية هي ربة البيت الحقيقية!.. وهي أم الطفل الوحيد الذي تطلعت إلى وجوده في حياتها!.. وهي أيضاً محط مطالب الزوج!.. فأين هي من حياة هذه الأسرة؟!.. أين هي من بيتها؟!.. من حياتها الحميمة؟!.. لقد غدا بيتها قصراً.. ولكن من تلج!.. الموارد المالية الطيبة جعلت منه بيتاً أنيقاً مرتباً منعماً حافلاً بالآلات.. ولكن أين حرارة الحب؟!.. أين عبق الحياة الأسرية التي يغمرها السكن والمودة الذي تكاد تلمسه وهي عند صديقتها هدى؟!.. ثم أين ذلك الصباح الحي الذي عاشته في الأيام الأولى من زواجها، حيث لا يطيق الزوج أن يخرج من البيت قبل أن يراها!.. يبيتها مودته وامتنانه، يشكر لها بالكلمة المحبة، أو حتى بدون أية كلمات، كل خدمة صغيرة أو كبيرة قامت بها من أجله.. تحس في نظراته عمق حاجته إلى وجودها بجواره، وعمق ارتباطه بها الذي لا يستبدله بشيء، وجوعة قلبه التي لاتسدها كل مشاغل الأرض ولا كل مباحج النجاح!.. أين ذلك كله وقد أوكلت صباحه إلى فوزية، وغدت تخرج هاربة على أطراف أصابعها حتى لا يصحو قبل أن تغادر فيؤخرها عن الموعد الرسمي للوصول؛ خاصة بعد أن تعقبها رئيسها، ذلك النذل وهي تعلم جيداً أغراضه!

وحتى هذا الوغد الصغير!.. لقد استبدل صدرًا بصدر وقلبًا بقلب، ولا يدري أن قلبًا في الدنيا كلها لا يستطيع أن يعطيه ما يعطيه هذا القلب، ولا أن يسعه صدر بما يسعه هذا الصدر!.. لكن من أين له أن يدرك هذا وقد حرمته هذا الصدر إلا بين الحين والحين، وحرمته لبنة الذي وهبه الله له حتى تستطيع أن تقوم بتبعات العمل!.. وكذلك أصبح الصدر الحنون عنده هو هذا الذي يجده مفتوحاً له نهاره وليله لا يغيب! ترى أين تلك الكلمات الكبار وقد كانت تؤمن بها إيمانها بالحياة.. تلك الشعارات التي أعطتها حماستها ونقاشاتها وصراعاتها.. أين هي من واقع العيش.. أين هي من نبض القلب وحاجة النفس؟!..

من رحمة الله بها أن زوجها رجل مستقيم لا يدفعه هوى أو غضب إلى السقوط في الخطأ!.. ومن حسن حظها أن فوزية، رغم بشاشتها وعدم تحفظها وجاذبية ملامحها، ليست فاسدة الخلق.. فكم سمعت وتسمع عن مآسي في البيوت بسبب الخدم!.. لكن هل تستطيع أن تظل آمنة!.. أن تغض النظر دوماً عن هذا الفراغ الكبير الذي يتركه غيابها مع وجود امرأة أخرى تقضي لزوجها بمهارة كل احتياجات العيش.. احتياجات صغيرة.. نعم.. لكنها مهمة رغم صغرها! كان الجمع قد اكتمل ماعداً واحداً.. فقد تغيبت مدام أماني طالبة إجازة عارضة.. الأصوات تظن في أذنيها دون أن يحل

رأسها المستغرق في أفكاره شفرتها!  
ولكنها تنبهت على صوت أحد زملائها يقول:  
- مدام رضوى ليست في «الفورمة» اليوم.. خيراً؟!  
- ابني مريض!

قال رئيس المجموعة بلهجة يشوبها الحقن:  
- قلنا اقعدوا في بيوتكم وارعوا أطفالكم، قلتم: المساواة.. حقوق المرأة.. حرية العمل.. أتعبتم أنفسكم وأتعبتمونا معكم!  
- رفقا بالقوارير يا أستاذ محمود

- أماني.. إجازة عارضة بسبب مرض ابنها!.. رضوى.. ليست في «الفورمة» لأن طفلها مريض!.. كيف يسير العمل؟!  
- هل قصرت في شيء من عملي؟!.. جئت قبل الجميع، ماعداً الأستاذ حسن.. ومن ساعتها وأنا أشتغل بدون كلمة.. وأنتم تشربون قهوتكم وتناقشون الأخبار!

- الحق، مدام رضوى لاتقصر أبداً حين يكون مزاجها مضبوطاً!

- لكن حين يكون مزاجها معتلاً؟!.. تقلب مزاج الكل!  
- لكن هي عودتنا أنها دائماً مرحة.. وجهها المبتسم دائماً يفتح نفسنا للشغل.. حتى لو لم تشتغل هي، الشغل يستفيد!  
قال الأستاذ محمود ساخراً:

- من أجل ذلك تطالبون بعمل المرأة؟!.. لمصلحة العمل!.. هه؟!..

- نعم ياسيدي.. وجودها نفسه نعمة!  
- نعمة أو نقمة.. لقد كتبت علينا!

الكلمات.. معها أو ضدها، منصفة أو ظالمة أو ساخرة، تقع في نفسها موقعاً لانزعاج!.. لماذا هي هنا الآن.. وسط هؤلاء الرجال الغريباء!.. وحياء قلبها هناك، تقلت من بين يديها!

تحاول.. بكل جهدها تحاول أن تركز في الأوراق أمامها.. أن تنسى مؤقتاً أمر البيت.. أمر تامر وأبيه.. تحاول أن تبعد عن عينيها صوراً تهز قلبها.. لكن الصور تنفذ إلى عينيها..

تخترق الكلمات المكتوبة.. تختلط بمعانيها وتتداخل بين سطورها.. كلمات من كلمات صديقتها هدى تداهمها.. وجمل من جملها القوية التي طالما دافعت بها في نقاشهما الطويل تلح على أعصابها! تطفئ على كل الأفكار التي تحملها الأوراق أمامها!.. ترى أيهما المخطيء وأيهما المصيب؟!.. قالت لها يوماً

حين شكت لها من فتور عاطفة زوجها، أن ذلك لا يتأتى إلا بسبب خلل في نمط الحياة!.. نفت أن مرور الزمن من شأنه أن يوهن العاطفة بين الشريكين، بل أكدت لها أنه يوثق عوامل المحبة والمودة بينهما فلا يعود الترابط قابلاً للهزات التي تحدث عادة في الفترة الأولى من الزواج، وكل من الزوجين

يتعرف على صاحبه وتتكشف له شخصيته دون حالات البعد! فأين هي من ذلك وهي ترى كم غدت الحياة بينها وبين زوجها روتينية باردة، وقد اختفت منها تلك الكلمات الحلوة التي كانت تنعش حياتها في عامها الأول معه!.. أين قبلة الامتنان قبيل مغادرة الدار أكثر الأوقات!.. أين الملامح المشوقة التي لا تريد مغادرة البيت قبيل الخروج.. لقد ذهب ذلك كله وحلت مكانه رتابة أداء واجب العيش!

من أجل أي شيء ضيعت ذلك الهناء القلبي؟!.. من أجل أفكار لم يتحقق منها شيء حتى اليوم!.. الذي تحقق هو العكس، فالذي يحدث في أكثر الأحيان أنها هي التي تحاول أن تلاين وتسترضي حتى حين يكون هو المخطيء، حتى تعوض ذلك الفراغ الذي يملأ الحياة بغيابها! فماذا بقي من تلك الشعارات!.. وهل فقدت متاعا قلبها فقط من أجل هذا الدخل الذي ظنت أنه يغنيها عنه؟!.. وهل حقيقة هي تستطيع أن تستغني عنه بكل مال الدنيا؟!.. ثم.. ما الذي يتبقى لها من ذلك المال الخاص في نهاية كل شهر؟!.. ربه تأخذه فوزية، وربعه الثاني تنفقه في المواصلات والملابس التي يستدعي العمل تكديسها! وتساهم بالنصف الباقي في ضروريات العيش!

.. لكم نصحتها زوجها منذ بدء حياتهما معاً أن تترك هذا العمل وتتفرغ لهذه الحياة!.. ولكم أكد لها أنه يستطيع أن ينفق على بيته دون مشاركة منها!.. ولكم أبدى لها رغبته في ذلك! ولكنها بكل اعتداد أبت!.. كانت أفكارها مستغرقة في عنجهية المساواة!

واليوم؟!.. اليوم لا يستطيع التراجع وقد رتبت حياتها على ذلك، ورتب هو عمله ودخله وميزانيته على أساس هذه المشاركة!.. لقد فقدت راحة كانت طوع يدها دون مقابل حقيقي!.. هل كانت هدى على حق فيما قالت؟!..

هدى صديقتها الحميمة وزميلة دراستها، هي الأقرب إلى قلبها من كل الصديقات رغم أنهما على طرفي نقبض في مفاهيمهما، ورغم أن أفكارهما تتناطح دوماً!.. تلجأ إليها كلما حزبها أمر فتجد عندها من المودة والإخلاص ما لاتجده عند غيرها ممن تتوافق أفكارها معهم!.. وقد يحتدم بينهما النقاش حول الأمر المعروض، ولكنها تخرج من عندها دائماً مرتاحة القلب، توقن أنها تبثها نصيحة خالصة لاتبغي منها غير الخير لها!.. وفي أكثر الأحيان تأتي الأيام بمصدق ما قالته لها، نصحا أو تحذيراً! لاتنسى ماقالته لها مرة حين اعترضت هي على تركها للعمل واستقلالها بعد زواجها بفترة قصيرة بعد أن رزقها الله بطفلها الأول!.. كانت تحاول أن تقنعها بالبقاء

في العمل، لتنفق على البيت كما ينفق زوجها فتكون رأسها برأسه وتكون كلمتها نافذة مثل كلمته!.. قالت لها وقتها أنها لم تدخل بهذا الزواج ساحة معركة، وإنما دخلت عشاً يضم إلفين ليتكاملا، لا ليتنافسا ويتحاربا، قالت لها إن الإنفاق هو واجبه، وهو دوره الرئيسي؛ وعليها هي واجبات أخرى لاتقل قيمة عن الإنفاق، إذا أدتها على الوجه الأكمل، فرأسها مع رأسه وكلمتها مع كلمته تسير دفة السفينة!.. قالت لها: إنها خلقت حرة مثله تماماً، وأنها ليست رقيقاً يشتري حرته بالمال!.. قالت: إن واجبها هو صناعة الإنسان، وهي أثنى من كل الصناعات، فعلى كفاءتها في هذه الصناعة تتوقف صورة المجتمع الإنساني بكامله!.. قالت إن مهمتها في حقيقتها أكبر المهمات، فهي التي تربي إنسان كل المهمات!.. آه.. لو استمعت إلى نصائحها!.. ولو استمعت إلى نصائح زوجها لكانت الآن هانئة في بيتها مثل هدى؛ ولكانت مفاة من مشاكسات هذا الرجل الخبيث، وهي تعرف لماذا يدس لها عند الرؤساء، فلقد دعاها الوغد يوماً إلى العشاء معه بحجة التحدث في شؤون مهمة خاصة بالعمل فاعتذرت!.. اعتذرت بكل لطف، ولكنه لم ينس ذلك لها! ومنذ ذلك التاريخ وهو يحاول الإيقاع بها!

تذكرت كم تردد أهلها حين تقدم إليها زوجها قبل قبوله، كم بحثوا وكم سألوا وكم درسوا كل شيء يخصه، حتى لاتقع حياتها في منغصات مع شخص رديء الطبع أو سييء الخلق، ثم ها هو ذا واجب العمل يحتم عليها أن تعايش كل من هب ودب، وأن تقع تحت رئاسة أي رديء طبع وساقط خلق!.. أليس هذا من الجنون!

من كلمات هدى التي لاتنساها ما قالته حين حكمت لها عن مشاكسات رئيسها تلك، قالت: «إذا كان حتماً في نظام دنيانا أن يكون لكل عمل شخص مسئول، فليكن هذا الشخص في حياتها هو الذي اختارته على عينها وانتقته من بين الناس، أن يكون هو من يحمل له قلبها محبة ومودة وتربطها به أوامر قربي لا تنفك، ويتوجه قلبه لها بحب واحترام ورباط لاينفصم إلا أن يكون ذلك الغريب الذي لايربطها به رباط!

تحس أن كل الزملاء يختلسون إليها النظر، يستغربون استغراقها في الصمت وتحديق عينها في الأوراق التي تنظر إليها ولا تعي ما فيها!.. إلى متى تهاجمها هذه الأفكار وتمنعها من قراءة هذه الأوراق التي لا بد أن تنهي عملها فيها اليوم!.. لقد نسيت حتى أن تقلب الصفحات لتبدو للعيون المتلصصة وكأنها تقرأ!.. إن عليها أن تطرد كل الأفكار الآن؛ تؤجلها حتى تنهي هذا العمل على الأقل، ففي نهاية اليوم عليها أن تسلّم هذه الأوراق ومعها ملاحظاتها!.. لا بد أن تجمع

حدجها بنظرة من وراء نظارته شملتها لثوان معدودة ثم قال في لهجة حازمة:

- تبلغني عنك ياسيدة رضوى أمور كنت أتمنى ألا تبلغني عنك!

- خيراً «ياأفندم».. أنا أؤدي عملي هنا بكل إخلاص وجدية..  
- يقال إنك تأتين دائماً متأخرة.. كذلك أنك كثيراً ما تثيرين موضوعات شائكة.. وتناقشين كثيراً.. وتشغلين بقية الموظفين عن عملهم!

- أنا؟!.. من هؤلاء الذين يقولون ذلك؟!.. أنا أتحداهم يا أفندم.. سيادتك تستطيع أن..  
قاطعها قائلاً:

- لا داعي للأنفعال.. أنا أحببت فقط أن أنبهك لما يقال عنك.. ولن أفعل شيئاً أكثر من ذلك الآن.. لكن.. لكن إذا استمرت هذه الشكوى فلا بد أن يكون لي موقف آخر!

- يابيه إعمل تحقيق!.. اسأل كل الموظفين الذين معي.. بل اسأل كل موظفي القسم.. أنا معروف عني مدى جديتي واستقامتي في عملي..!

- يارضوى، أنت إنسانة لطيفة، وتستطيعين أن تحلي مشاكلك مع زملائك بلطف!

رفعت رأسها لتقول شيئاً فواجهتها ابتساماً في عينيه ذات مغزى أصبحت بعد تجارب السنوات في العمل تدرك معناها!.. أما نظرته فهي تنسكب دون انقطاع فوق تقاسيم جسدها الأنيق التكوين!

قال: يارضوى.. أحب أن أسمع عنك كل خير.. لا أحب أن أسمع عنك إلا ذلك!.. عودي إلى مكتبك وأكملي عملك.. في ألف سلامة.

شكرته بصوت مبحوح لا يكاد يسمع واستدارت لتخرج.. قلبها يمتليء بالدموع.. وعيناها!.. تمثلت أمام عينيه صورة هدى بغطاء رأسها الواسع الذي ينسدل على جسدها ويغطي تفاصيله حتى أسفل وسطها.. لطالما هاجمت هذا الزي الذي يخفي معالم جمالها ويقربها من نساء الريف في العصور الغابرة!.. تمننت في تلك اللحظات الثقيلة أن كان هذا الغطاء يحول بين جسمها وبين تلك النظرات المتساقطة فوقه «كميازيب» الوسخ!.. همست إلى نفسها في أسى: «ترى هل تكون أفكار هدى التي تجادل فيها دوماً، والتي تنتشر رغم كل مقاومة، هل تكون هذه الأفكار معالم المستقبل.. ترى هل تكون هي الحل؟!»

□□□

أعصابها حتى تفقه ما تقرأ.. بل عليها أن تستوعب جيداً ما تقرأ حتى تصوغ تقريرها على أحسن وجه!

فلو لم تتم هذا اليوم فسوف يكون ذلك حجة لرئيسها في تشويه سمعتها عند رئيس القسم!.. لا بد إذن أن تغلق الطريق على كل الأفكار الأخرى!.. حين تعود اليوم تذهب إلى هدى وتناقش معها الأمر: المشكلة والمخرج!

اعتدلت في جلستها.. حاولت أن ترسم على وجهها ملامح هدوء باسم، غرزت عينيهما في الأوراق وركزت كل انتباهها.. حين تستغرق في القراءة فسوف تشدها جاذبية الموضوع من ذلك التيه الذي تخبط فيه أفكارها.. إذن لتبدأ..

صفحة.. اثنتان.. ها هي الثالثة والرابعة.. تنجح في اقتلاع قلبها من وهدة الدوامة.. الموضوع شائق حقاً.. تستمر.. ها هي الصفحة العاشرة.. تقترب رويداً رويداً من لب الموضوع.. تبدأ في تكوين رأيٍ حوله.. سوف تكون ملاحظاتها ذات وزن.. هي ذات قدرة ممتازة في عملها لا يداينها فيها أحد من زملائها.. ولا رئيسها هذا.. لكن وا أسفاه!.. لو لم يكن هذا التمزق الذي لاتجد منه مخرجاً!.. أوه!.. فهل ستعود إلى تلك الدوامة؟!.. كلا، لم يعد الوقت يسمح!.. لا بد أن تشتغل بكل لحظات الوقت وبكل تركيز الذهن..

فجأة يفتح الباب المؤدي إلى الحجرة الواسعة بعد دقائق خفيفة لاثتير انتباهها، يدخل شاب في مقتبل العمر يبحث بعينيه في الوجوه خلف المكاتب.. يذهب ناحية الأستاذ محمود ويهمس إليه بسؤال، ثم يتجه ناحيتها.. تقع عيناه عليها فيقصدها.. يسر في أذنها بكلمات قليلة.. يتبادلان بضع كلمات همساً ثم ينسل خارجاً!

وجوه الرجال خلف مكاتبهم تتجه إليها متسائلة، إلا وجه الأستاذ محمود الذي يغرز عينيه في الأوراق التي أمامه! في يضع ثوان تلم رضوى أوراقها فوق مكتبها.. تسوي هنادمها وتخرج من الحجرة تتبعها النظرات الصامتة!.. في المر الطويل الذي يفصل بين الحجرتين تخرج مراتها الصغيرة من حقيبته وتسوي زينة وجهها ثم تهييء ملامحها لمقابلة رئيس القسم، كذلك تحكم وضع ملابسها البالغة الأناقة.. ترى لماذا يستدعيها رئيس القسم.. ترى هناك دسياسة من ذلك الرجل المزعج الخبيث؟!.. الله يستر!

أمام الرجل الوقور البالغ التهذيب خلف المكتب الأنيق وقفت في أدب جم وانتباه بعد أن أحنث رأسها بتحية لطيفة مبتسمة.. سمعت صوته يبدأ حديثه معها هادئاً:

- السيدة رضوى عبدالعزيز؟

- نعم.. أنا